كانت القراءة الرمزية نفسها تمنح ذلك الواقع عمقاً آخر، وتجعل ما فيه من بشاعة قضية مفلسفة معللة»[٢١].

إن هذه الرواية، تظل تحمل في داخلها ذلك التزاوج الفذ بين الواقع والرمز معاً دون ان يؤثر تغييب احدهما على الرواية عند قراءتها من جانب واحد. فهي ترصد واقعاً معاشاً باحداثه وشخصياته وزمانه واشيائه، وتظل، في الوقت نفسه، قابلة لمنح دلالات رمزية لتلك الأحداث والشخصيات.

في ذلك تتجلى عبقرية الرواية، من امكانية قراءتها من زاوية واحدة، زاوية الواقعية أو زاوية الرمز، أو من الزاويتين في اندماجهما وتشابكهما معاً. رغم أن غسان كان يطمح إلى ايصال الجانب الرمزي في الرواية، فيؤكد انها إذا «...كانت قد عجزت عن نقل هذه الناحية (أي البعد الرمزي) فاني أعد نفسي مخفقاً»[٢٢].

مثل هذا الاقرار من قبل الكاتب نفسه، يبيح للدارس والناقد البحث عن المعنى الرمزي للرواية ودلالات الأحداث والشخصيات والأشياء فيها، والذي يصل أحياناً إلى حدود الاسقاط الذاتي والمغالاة في القراءة الرمزية للرواية.

وفي سياق هذا البحث الذي يغالي في النزعة الرمزية، يكون الهاجس الوحيد هو ايجاد معادل واقعي للرمز، أو البحث عن معادل رمزي للأحداث والشخصيات الواقعية في الرواية. فتصبح كل الشخصيات والتفاصيل رموزاً لا تكتفي بنقل الواقع أو تقديم ايحاءات رمزية عنه، وانما تغرق في ايجاد المعادل الذي يتطابق هندسياً معه.

ويحاول فضل النقيب أن ينفي رمزية الرواية بتأكيده أن سرها لم يكن في أن فيها رمزية «تلخص القضية كلها، وأن سائق السيارة الذي كان مهتماً بالمغامرة الجنسية، وهو عاجز جنسياً، يرمز للجيوش العربية التي كانت متهمة بشهوة الحرب وافتراس اسرائيل وهي عاجزة حربياً. هذه رمزية مبتذلة لا تعجب أحداً. الحقائق التي يعرفها كل الناس لا تثير اهتمامهم عندما تطل عليهم من جديد بقناع الرمزية...»[٢٣].

لكن مثل هذا النفي الذي أعطى، في البداية، معادلاً رمزياً لتلك الشخصية، «أبو الخيزران»، لكي ينزعه عنها في النهاية، كان مرتبكاً ومربكاً، إذ أوقع ناقداً مثل الدكتور احسان عباس في فهم يغالط القصد، حيث تمسك بفهم أن فضل النقيب«...يرى في «أبو الخيزران» رمزاً للجيوش العربية»[٢٤]. دون أن يستوعب أن النقيب خلق المعادل الرمزي لا لشيء سوى لكي ينفيه.

ولا يختلف الدكتور احسان عباس في مسألة رؤية «ابو الخيزران» كرمز، لكنه يختلف في معناه، إذ يراه «رمزاً للقيادة الفلسطينية في بعض الظروف التي مرت بها القضية» [٢٥].

وتجمع الدكتورة رضوى عاشور بين كلتا الرؤيتين، التي صاغها ونفاها فضل النقيب، والتي اعتقدها احسان عباس، لتقرر بأن أبا الخيزران هو «... رمز لقيادة